المحور الثامن
العوامل المعنوية للنصر
في ضوء
القرآن الكريم



العوامل المعنوية للنصر في ضوء القرآن الكريم

د. مختار بن عبد الرحمن نصيرة
الأستاذة حدة بنت عبد اللّه سابق





مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنـــا، مـــن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فإن التدافع بين الحق والباطل، والخير والشر سنّة من سنن الله تعالى في خلقه، فمنذ أن خلـــق الله الأرض ومن عليها، والرسل عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى الخيـــر، ويقـــاومون الباطـــل، ويستنصرون الله تعالى فينصرهم ويعلي كلمته، ويهزم أعداءه، إلى أن بعـــث الله تعـــالى الرســـول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل، وآزره ونصره على من عاداه، ومكن لدعوته، فانضوت تحت رايته أمما وشعوبا إلى قيام الساعة.

ولما كان حفظ الدين وحفظ النفوس في مقدمة المقاصد الكلية التي جاء هـــذا الـــدين لحفظهـــا وصونها، كان لزاما على كل أولي أمر المسلمين أن يتخذوا العوامل الكافية لحفظ هذا الدين وحفـــظ نفوس من هم تحت طائلة مسؤولياتهم، وما تكوين الجيوش وتصنيفها وترتيبها وإعدادها، وتجهيزها بالعدة الكافية إلا جزءا من تلك العوامل.

وقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة للنصر فبيّن طريقه وأسبابه وعوائقه، من خلال عدد مـــن سوره وكثير من آياته، وكانت قصص دعوات الأنبياء والرسل السابقين، و غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، هي المحور الأساسي لدارسة هذا الموضوع.

وقد جاء الأمر باتخاذ جميع الوسائل المشروعة لتحقيق النصر الموعود في قوله تعالى:(وَأَعِـــدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)(١)، فالإعداد هو التهيؤ لوقت الحاجة، وفجاءة الطوارئ. وإعداد القوة علـــى نوعين: إعداد مادي، وإعداد معنوي. فالإعداد المادي كتجهيز الجيش بالوســـائل القتاليـــة اللازمـــة، وتدريبه، وتمويله بما يكفيه. والإعداد المعنوي هو تزويد كل جندي وقائد بالقوة الإيمانية، والأخلاقيـــة، والنفسية، والاجتماعية الكافية، التي تؤهله ليكون جنديا صالحا لأداء مهامه بكل تفان إخلاص.

ولاتساع هذا الموضوع القرآني، فإنه لا يمكن لنا أن نتناول جميع أجزائه في بحـــث محـــدود الصفحات، ولذا ارتأينا الاكتفاء بإبراز العوامل المعنوية لتحقيق النصر الذي وعد الله تعالى به عباده المؤمنين، لنشارك به إخواننا في ملتقاهم العلمي حول "العسكرية في القرآن الكريم"، وعنوناه بـــ

---

(١) الأنفال، من الآية: ٦٠.

"**العوامـــل المعنويـــة للنصـــر في ضـــوء القـــرآن الكريـــم**".

وقد قسمنا هذا البحث إلى تمهيد و مبحثين اثنين:

تمهيد: تناولنا فيه مفهوم النصر في اللغة والقرآن الكريم.

المبحث الأول ــ تناولنا فيه **العوامل المعنويـــة القاعديـــة**. وقسمناه إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول ــ صدق الإيمان.

المطلب الثاني ــ تقوى الله عز وجل.

المطلب الثالث ــ نصرة دين الله تعالى.

المطلب الرابع ــ المشورة.

المطلب الخامس ــ التحريض على القتال.

المبحث الثاني ــ تناولنا فيه **العوامل المعنويـــة عند لقـــاء العـــدو**. وقسمناه إلى ستة مطالب:

المطلب الأول ــ الثبات.

المطلب الثاني ــ ذكر الله تعالى.

المطلب الثالث ــ طاعـــة الله ورسوله وأولي الأمر.

المطلب الرابع ــ النهي عن التنازع.

المطلب الخامس ــ الصبـــر.

المطلب السادس ــ التوكل على الله تعالى.

الخـــاتمة.

قائمـــة المصـــادر والراجـــع.



تمهيـــد

مفهـــوم النصـــر في اللغـــة وفـــي القـــرآن الكريـــم

أولا ــ مفهوم النصر في اللغة:

النون والصاد والراء: أصلٌ صحيح يدلُّ على إتيان خَيرٍ وإيتائه. ونَــصَرَ اللهُ المــسلمين: آتاهمُ الظّفرَ على عدوِّهم، ينصرهم نَصْراً. وانتصر: انتقم. وأمَّا الإتيانُ فالعرب تقول: نصرت بَلَدَ كذا، إذا أتيتَه. قال الشَّاعر:

إذا دخَلَ الشّهر الحرامُ فودِّعِي *** بلادَ تميم وانصرِي أرض عامرِ

ولذلك يسمَّى المطرُ نَصْراً. ونُصِرت الأرضُ، فهــي منــصورة. والنَّــصْر: العَطَــاء(١)، والنصائر العطايا. والنصر إعانة المظلوم(٢).

ثانيا ــ مفهوم النصر في القرآن الكريم:

ذكر أهل التفسير أن النصر في القرآن الكريم يطلق على أربعة أوجه:

الوجه الأول: النصر يعني المنع، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨]، يعني: ولا هم يُمنعون من العذاب. وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴾[الشعراء: ٩٣]، أي يمنعونهم من عذاب الله.

الوجه الثاني: النصر يعني العون، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠]، يعني وليُعينَنّ الله من يعينه.

الوجه الثالث: النصر يعني الظفر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، يعني الظفر. وقوله تعالى: ﴿ وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، يعني اجعل لنا الظفر.

الوجه الرابع: النصر يعني الانتقام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤١]، يعني انتقم(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٣٤/٥.

(٢) لسان العرب المحيط، ابن منظور، ٦٤٧/٦.

(٣) الوجوه و النظائر، الدمغاني، ص٧٧٥ ــ ٧٧٦. و نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر، ابن الجوزي، ص٢٤٨.



والمراد بالنصر في بحثنا هذا هو بمعنى العون والغلبة والظفر الذي به يتحقق حفظ الدين والأنفس، ويحقق العزة للمؤمنين، والذي وعد الله به رسله وعباده المؤمنين، وهو النصر المسبوق بالتأييد الإلهي، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢].



المبحـــث الأول ـــ العوامـــل المعنويـــة القاعديـــة

المطلـــب الأول ـــ صدق الإيمـــان:

إن صدق الإيمان بالله تعالى، الذي بيده ملكوت كل شيء، والإيمان بملائكته الذين لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، ويثبت الله بهم الذين آمنوا ويكثر بهم جمعهم، والإيمان بكتبه السماوية التي أنزلها، والإيمان برسل الله الذين أرسلهم مبشرين ومنذرين، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من نعيم مقيم وعذاب أليم، والإيمان بالقدر خيره وشره(١)، يجعل المؤمن يقدم نفسه وماله ابتغاء مرضاة الله. كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

فالإيمان الصادق يعد العامل الرئيس لتحقيق النصر من عند الله تعالى، لأنه يمنح المؤمن عزيمة قوية، وقوة روحية، وثقة إلهية، وتوفيقات ربانية، فيقبل على المعركة من غير أن يتطرق إليه يأس أو يعتريه فتور، أو تخيفه قوة الأعداء، وهو في كل ذلك يطلب النصر من صاحب الحول ذي القوة المتين(٢)، ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

ولا يعني الإيمان الصادق ذلك الإيمان السالم من دخائل الشرك ووسائله فحسب؛ بل المطلـــوب أرفع منه وأخلص وأصفى، وهو الإيمان الخالص من كل شائبة تشوبه، ولو لم تبلغ حـــد صـــغائر الشرك؛ الإيمان الخالص الناصع المجرد من كل إرادة لغير وجه الله أوإعجاب، أو التفات إلى سبب على حساب التوجه إليه سبحانه والإخلاص له (٣).

وقد أكد الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾[غافر: ٥١]، وفي قوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الروم: ٤٧]، أن نصره لعباده المؤمنين سنّة من سننه في خلقه في

(١) ينظر: الإيمان، ابن تيمية، ص٢٧، ٢٨. ووسائل النصر من القرآن والسنة، د.محمد جمعة عبد الله،بتصرف،ص٧١.

(٢) وسائل النصر من القرآن والسنة، د.محمد جمعة عبد الله، بتصرف، ص٧٢.

(٣) عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد بن حمدان بن محمد الشهري، بتصرف، ص٤٣.



قديم الدهر وحديثه، فيقرّ أعينهم ممن آذاهم، ويوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل (١).

وفي قوله: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١، ١٧٢]، أي مضى بهذا منا القضاء والحكم والوعد في أم الكتاب بنصرتهم و إظهارهم على من عاداهم (٢).

وأعظم شاهد على أثر الإيمان في إحراز النصر، نصر الله لجنده يوم بدر، فقد خاضها المسلمون يومئذ وهم قلة في العدد والعتاد، فكانوا دون ثلث عدوهم، ونصرهم الله تعالى وهم أذلة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، أي أظهركم الله على عدوكم، مع كثرة عددهم وقلة عددكم بصدق إيمانكم، وطاعة ربكم.

وفي غزوة الخندق كان المسلمون يمثلون أقل من ثلث المشركين وحلفائهم مع قلة الزاد والعتاد، ومع ذلك نصرهم الله تعالى بقوة إيمانهم وصدق إقبالهم عليه، وكانت نعمة عظيمة، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٩،١٠].

وإذا خالط إيمان الجندي المؤمن شيئا من أعراض الحياة الدنيا؛ فإن ذلك كفيل بوقوع الهزائم تلوى الهزائم، ولنأخذ مثلا على ذلك من القرآن الكريم، حين قص علينا غزوة أحد في قوله تعالـى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:١٥٢]، فبادئ الأمر صدقهم الله وعده وتحقق النصر واعترف الأعداء بهزيمتهم، لكن ما أن خالف الرماة أوامر القائد الأول الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخلوا أماكنهم، وأقبلوا على الدنيا وانكبوا على الغنائم، جاء الغدر من إحدى كتائب الكفر من الخلف، ووقعت الهزيمة، وهذا ما ذكره المولى عز وجل في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، بتصرف، ٦/١٤٦ ــ ١٤٧.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١٢/١١٤. والوجير في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ٢/٩١٦.



مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾، وقد روى هذه القصة البراء بن عازب ﷺ، في قوله: (جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير، فقال: "**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم**"، فهزموهم... فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ...الحديث)(١) .

وقد أكد الله تعالى أن العبرة بنصر الله تعالى لجنوده المؤمنين، لا بكثرة العدد، لأن الكثرة لوحدها ليست عاملا كافيا للنصر إذا لم يسبقه إيمان خالص، وتوفيق من الله تعالى وتأييده، قال تعالى: ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنفال: ١٩].

إذا فالإيمان الصادق يعد العامل الأول لتحقيق النصر من الله تعالى، فحتى يتأسى الجندي المسلم بسلفه الصالح من الصحابة والتابعين في غزواتهم وفتوحاتهم، فعليه بالإعداد الإيماني أولا الذي يهيئه للإقبال على الله تعالى وإحراز نصره، أو الشهادة في سبيله.

المطلب الثاني ـ تقوى الله عز وجل:

إن أصل كلمة التقوى من الوقاية، نقول: وقاه أي صانه. ووقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى. و في حديث عدي بن حاتم ﷺ: "**فوقى أحدكم وجهه النّار**"(٢)، أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة. وقوله في حديث معاذ ﷺ: "**وتوق كرائم أموالهم**"(٣)، أي تجنبها ولا تأخذها في الصدقة لأنها تكرم على أصحابها وتعز، فخذ الوسط لا العالي ولا النازل(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، الجهاد، باب ما يكره من التنازع، ١١٠٥/٣ ح٢٨٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي، في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الفاتحة، ٢٠٢/٥ ح٢٩٥٣. وأحمد في مسنده، ٣٧٧/٤، كلاهما بلفظ: "**ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة**"، من حديث عدي بن حاتم ﷺ. وقال أبو عيسى: "حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب". و أخرجه أحمد أيضا من حديث أبي الأحوص عن عبد الله، ٣٨٨/١.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ٢٦٨٥/٦ ح٦٩٣٧. ومسلم، في صحيحه، كتب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين ودعائم الإسلام، ٥١/١ ح١٩.

(٤) لسان العرب، ابن منظور١٥/٤٠١، ٤٠٢.



وعرفها الإمام الغزالي بقوله: (عبارة عن استقامة السيرة والدين يرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا)(١).

وفسّرها الحافظ ابن حجر بقوله: (اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة)(٢).

وإذا كنا قد بيّنا سابقا أن الإيمان شرط أساسي للنصر، فإن من تمام الإيمان صيانة النفس عن كل ما يؤذيها في الدنيا والآخرة، ولا شك أن المعاصي لها آثارها الآجلة والعاجلة على الفرد والمجتمع، وإذا كان الجندي المسلم يؤدي أعظم مهمة ويحقق أنبل غاية، فلا بد من أن يصون أولا نفسه ويقيها من جميع الأسباب التي قد تؤدي إلى إخفاقه في أداء دوره الفردي والجماعي.

والله جل ذكره أمر في ثلاث عشرة آية من القرآن الكريم بالتقوى بقوله (اتّقوا)، وبيّن في كثير من الآيات آثار التقوى على الأفراد والجماعات في الدّارين.

ووعد في آيات أخرى بنصرة المتقين وتأييدهم ومعيته لهم(٣)، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

قال ابن كثير: (أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه، وهذه معية خاصة... ومعنى (الَّذِينَ اتَّقَوْا) أي تركوا المحرمات، ومعنى (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) أي فعلوا الطّاعات، فهؤلاء يحفظهم ويكلؤهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرهم بأعدائهم ومخالفيهم)(٤).

وأخبر المولى عز وجل أن العاقبة للمتقين في أربع آيات من القرآن الكريم(٥)، منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، قال القرطبي: ({وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} أي الجنة لمن اتقى. وعاقبة كل شيء: آخره، ولكنها إذا أطلقت فقيل: العاقبة لفلان فهم منه في العرف الخير)(٦).

(١) المستصفى في علم الأصول، ١/١٥٧

(٢) نزهة النظر بشرح نخبة الفكر، ص١٩

(٣) ينظر: البقرة، الآية:١٩٤. والتوبة، الآية: ٣٦، ١٢٣. والنحل، الآية:١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٤/٢٣٧.

(٥) الأعراف، من الآية:١٢٨. وهود، من الآية:٤٩. والقصص، الآية:٨٣. وطه، الآية:١٣٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ٧/ ١٩١.



وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، أي: العاقبة للمتقين بالظفر والتمكين[١].

وأخبر تعالى عن حبّه للمتقين في ثلاث آيات، بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[التوبة: ٤][٢].

وهؤلاء المتقون الذين يحبّهم الله تعالى، ولهم العاقبة، هم الذين تجمعت فيهم الصفات الآتية التـي ورد ذكرها في القرآن الكريم:

١ ــ **صدق الإيمان والعمل:** فالمتقون هم أصدق الناس في إيمانهم وأعمالهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٧]، أي صدقوا في إيمانهم، لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، فلم تغيّرهم الأحوال ولم تزلزلهم الأهوال. قال القرطبي: (حق من فهم عن الله وعقل عنه أن يلازم الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، والصفاء في الأحوال، فمن كان كذلك لحق بالأبرار ووصل إلى رضا الغفار)[٣].

٢ ــ **تعظيم شعائر الله تعالى:** قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، وهذا عام في جميع شعائر الله، والبدن فرد من أفراد هذا العموم، داخل فيه قطعاً. وفسر ابن عباس التعظيم بقوله: (الاستسمان، والاستحسان، والاستعظام)[٤]. وقال الزمخشري: ({فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}، أي فإنّ تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب...وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز للتقوى التي إذا ثبّتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء)[٥]. وذكر ابن كثير أن: التعظيم يشمل جميع أوامر الله تعالى[٦].

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ١١٧.

(٢) ينظر: آل عمران، الآية:٧٦. والتوبة، الآية:٠٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢١٦/٨ ــ ٢١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٦٣٨/٤.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري، ٦٣٨/٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٦٣٨/٤.



٣ ــ **الحكم بالعدل:** قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾[المائدة: ٨]، فقولـــه: (كُونُوا قَوَّامِينَ) أي ليتكرر منكم القيام بالقسط، وهو العدل في شهادتكم من غير ميل إلى أنفسكم أو أقاربكم، و حيف على أعدائكم، فالقيام بالعدل من صفات المتقين من عباد الله تعالى عن غيرهم.

٤ ــ **العفو والصفح:** أرشد القرآن الكريم في عدة مواضع إلى قيمة خلق العفو والصفح، وأنـــه من الشيم الكريمة التي يتميز بها أهل التقى، منها: قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾، أي أن يعفو بعضكم عن بعض فيما وجب له من حق من قبل صاحبه من الصداق عند الطـــلاق قبل الافتراق، فذاك أقرب للتقوى.

وقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، يدخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠]، يبن أن من خلق المسلم أن يؤدب المجترئين عليه، فهو مكلف بإبراز قوته حتى يكسر شوكتهم، ومن خلقه أيضا أن يغفر إذا استغضبه من دونه، فإن عفو المقتدر بعد أن تنتفي علائم الضعف، لون آخر من ألوان تأديب المجرمين الظالمين، و لون من ألوان كرامة المؤمنين و حسن تقواهم(١).

فالعفو مجالاته متعددة يطول ذكرها، وأهل التقوى هم من وصفهم القرآن الكـــريم بهـــذا الخلـــق الرفيع.

٥ ــ **دوام التذكر:** قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فالمولى عز وجل يخبر عن عباده المتقين الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ما عنه زجر، أنهم إذا أصابهم طائف من الشيطان من غضب وهم بالذنب أو الوقوع فيه، تـــذكروا عقـــاب الله و جزيـــل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا(٢).

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، بتصرف، ص١٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، بتصرف، ٣/٢٦٩.



المطلب الثالث ـ نصرة دين الله تعالى:

إن من العوامل المباشرة لتنفيذ وعد الله تعالى لجنوده المؤمنين بالنصر، أن يسبق الجندي بنصرة الله تعالى في دينه، وقد وعد الله بنصرة من ينصره في آيتين كريمتين:

الآية الأولى ــ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٤٠].

وقوله: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) أي وليعينن الله من يقاتل في سبيله لتكون كلمته العليا على عدوه، فنصر الله عبده معونته إياه. ونصر العبد ربه جهاده في سبيله لتكون كلمته العليا(١).

ووصف نفسه تعالى بالقوة والعزة في قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا، وبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه والحاصل إليه، ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، فهو قوي على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في ملكه منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب(٢).

وقال الشيخ الشنقيطي: (بيّن الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أقسم لينصرن من ينصره، ومعلوم أن نصر الله إنما هو باتباع ما شرعه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ونصرة رسله وأتباعهم، ونصرة دينه وجهاد أعدائه وقهرهم حتى تكون كلمته جل وعلا هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى)(٣).

وكما أنجز الله عز سلطانه وعده، حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم، وأورثهم أرضهم وديارهم، فكذلك كل من نصر الله عز وجل في دينه، فإنه منصور بعهد الله تعالى، ولا يخلف الله الميعاد(٤).

وقد حدد القرآن الكريم في الآية التالية لهذه الآية صفات الذين ينصرهم المولى عز وجل، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

---

(١) جامع البيان، الطبري، ١٧٨/١٧.

(٢) المصدر نفسه. وتفسير القرآن العظم، ابن كثير، ٢٢٧/٣.

(٣) أضواء البيان، ٥٢٥/٥.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ١٠٩/٦.



ويعني بقوله: (إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ) إن وطّنّا لهم في البلاد فقهروا المشركين وغلبوهم عليها وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أطاعوا الله فأقاموا الصلاة بحدودها، وآتوا زكاة أموالهم من جعلها الله له، وأمروا بالمعروف فودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله. ونهوا عن المنكر فنهوا عن الشرك بالله والعمل بمعاصيه الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله. ولله عاقبة الأمور أي ولله آخر أمور الخلق يعني أن إليه مصيرها في الثواب عليها والعقاب في الدار الآخرة(١).

وفي الآية دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر، إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فالذين يمكّن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر فليس لهم وعد من الله بالنصر، فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أجر عليه، ثم يطلب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له(٢).

الآية الثانية ــ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧].

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن المؤمنين، إن نصروا ربهم، نصرهم على أعدائهم، وثبت أقدامهم، أي عصمهم من الفرار والهزيمة.

---

(١) جامع البيان، الطبري، بتصرف، ١٧٨/١٧.

(٢) أضواء البيان، بتصرف، ٥٢٥/٥.



ونصر المؤمنين لربهم، نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتتمثل أوامره وتجتنب نواهيه، ويحكم في عباده بما أنزل على رسوله ﷺ (١).

وقد تكرر وعد الله بنصر عباده المؤمنين الثابتين على عهده، القائمين بشرائعه، في عدد من آيات كتاب الله تعالى، منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]. وقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

المطلب الرابع ـ المشورة:

إن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام التي بها تصلح أحوال الأمة ويستقيم أمرها، وقد مدح الله تعالى بها المؤمنين في قوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

والشورى تعد من الأسباب المعنوية للنصر التي أمر الله تعالى نبيّه بها في قوله: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و قد سلك القرآن الكريم في هذه الأوامر الثلاثة في الآية مسلك التدرج البليغ؛ وذلك أنه أمر نبيه ﷺ بأن يعفو عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة؛ فلما صاروا في هذه الدرجة أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة أيضا، فإذا صاروا في هذه الدرجة صاروا أهلا للاستشارة في الأمور(٢).

قال الإمام الطبري: (إن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفا منه أمته ما في الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعله...فإذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادق وتآخ للحق وإرادة جميعهم للصواب من غير ميل إلى هوى ولا حيد عن هدى فالله مسددهم وموفقهم)(٣).

---

(١) أضواء البيان، بتصرف، ٢٦٤/٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، بتصرف،١٩١/٤.

(٣) جامع البيان، الطبري، ١٥٣/٤.



يضاف إلى ذلك حكمة أخرى، وهي أن في المشاورة تطييب نفوسهم، ورفع أقدارهم، وتألفهم على دينهم، وذهاب أضغانهم، فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم. وهذا ما يزيد في ألفتهم وعدم تنازعهم.

قال ابن العربي: (الشورى ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا)(١).

وقال الحسن البصري والضحاك: (ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل ولتقتدي به أمته من بعده)(٢).

ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطييبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فعن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. قال: فندب ﷺ الناس... الحديث(٣).

إذا فمشورة القيادة لذوي العلم والمعرفة والخبرة التجريبية، ليشارك كل برأيه الذي يراه صائبا، من أهم عوامل النصر التي يجب الأخذ بها، قبل الدخول في أي مواجهة مع أي عدوان كان.

المطلب الخامس ـ تحريض الجنود على القتال:

بعد إعداد الجنود بالوسائل المعنوية التي ذكرناها سابقا، تأتي مرحلة تحريض الجنود على القتال، إذا تقرر خوض القتال بعد التشاور، وتحريض المؤمنين على القتال أمر به الله تعالى في آيتين من كتابه العزيز:

الآية الأولى ـ قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

الآية الثانية ـ قوله تعالى: ﴿ فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء: ٨٤].

(١) أحكام القرآن، ١٦٦٨/٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، ١٤٠٣/٣.



قال ابن فارس: (الحَرَض، وهو المُشرِف على الهلاك. قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ [يوسف: ٨٥]، ويقال حَرَّضْتُ فلاناً على كذا. زعم ناسٌ أنّ هذا من الباب. قال الزَّجّاج: وذلك أنّه إذا خالف فقَدْ أفْسَد. وقوله تعالى: ﴿ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [الأنفال: ٦٥]، لأنهم إذا خالَفُوه فقد أُهلِكوا)(١).

وقال الزجاج أيضا: (تأويل التحريض في اللغة أن تحث الإنسان حثا يعلم معه أنه حارض إن تخلف عنه، والحارض الذي قد قارب الهلاك)(٢).

وقال الجوهري: (والتحريض على القتال الحث عليه والإحماء عليه)(٣).

وفي الآيتين يحرض الله تعالى نبيه والمؤمنين على القتال، ومناجزة الأعداء، ومبارزة الأقران، لدفع عدوان الكفار، وإعلاء كلمة الحق والعدل وأهلها على كلمة الباطل والظلم وأنصارهما.

ويكون التحريض بتذكير الجنود بوعد الله لهم بالنصر، وبالثبات، وخطورة التولي يوم الزحف، والإكثار من ذكر الله تعالى، وطاعته وطاعة رسوله وقادتهم، والصبر والتوكل على الله وحده، ويذكرهم بما عند الله تعالى من نعيم مقيم، ويمكن تذكيرهم قبل لقاء العدو بما كان عليه النبي ﷺ و أصحابه من عزيمة وثبات على الحق حتى يلقوا ربهم عز وجل.

المبحث الثاني ــ العوامل المعنوية للنصر عند لقاء العدو

المطلب الأول ـ الثبات:

إن من عوامل زعزعة نفوس الأعداء وزلزلة قلوبهم، هو الثبات في أرض المعركة والحذر من الفرار يوم الزحف، فثبات الأقدام في ساحات الوغى، ليس أمرا هيّنا على النفوس، فهو يحتاج إلى مجاهدة نفس، وسبق تربيتها وتعويدها على ممارسة الشدائد، فالثبات يحتاج إلى قوّة إيمانية ومنزلة تقوى متقدمة، ولهذا فثبات الجندي المؤمن في مواجهة عدّوه يتوقف على مدى تحقق الأسباب التي ذكرناها سابقا، من إيمان صادق، ولزوم التقوى، ونصرة دين الله تعالى.

والثبات ثمرة من ثمرات الصبر، ومظهر من مظاهر القوة المعنوية للمقاتلين التي هي السبب الغالب للنصر والظفر. ولذلك أمر به المولى عز وجل في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

(١) معجم مقاييس اللغة، ٣٥/٢ ــ ٣٦.

(٢) لسان العرب المحيط، ابن منظور، نقلا، ٦٠٩/١.

(٣) المصدر نفسه.



فقد أمر تعالى المؤمنين في هذه الآية بالثبات عند لقاء العدو، مشيراً إلى أن ذلك سبب للفلاح. والأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده، فتدل الآية الكريمة على النهي عن عدم الثبات. أمام الكفار، وقد صرح تعالى بهذا المدلول في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

قال القرطبي: (أمر بالثبات عند قتال الكفار كما في الآية قبلها النهي عن الفرار عنهم فالتقى الأمر والنهي على سواء. وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد)[١].

وظاهر الآية تحريم التولي يوم الزحف على الأفراد والجماعات إذا التقوا مع أعدائهم في ملاحم القتال والمجالدة، بحيث إن المسلمين إذا توجهوا إلى قتال أعدائهم، أو إذا نزل الأعداء لمقاتلتهم وعزموا على المقاتلة، وجب على المسلمين الثبات والصبر للقتال، و لو كانوا أقل عددا من أعدائهم، فإما أن ينتصروا، وإما أن يستشهدوا. وعلى هذا فللمسلمين النظر قبل اللقاء هل هم بحيث يستطيعون الثبات وجهه أولا، فإن وقت المجالدة يضيق عن التدبير، فعلى الجيش النظر في عَدده وعُدده، فإذا أزمعوا الزحف وجب عليهم الثبات، وكذلك يكون شأنهم في مدة نزولهم بدار العدو...[٢].

وقد كان النبي ﷺ يأمر المسلمين بالصبر عند ملاقاة العدو، فيقول في الحديث الذي رواه عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: "**أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**"[٣].

وكان ينهاهم عن الفرار من الزحف، ويعده كبيرة من الكبائر، فيقول في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: "**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله،**

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٨.

(٢) التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، بتصرف،٢٩١/٩.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى ينعقد الشمس، ١٠٨٢/٣ ح٢٨٠٤. ومسلم، في صحيحه، كتب الجهاد والسير، باب كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر، ١٣٦٢/٣ ح١٧٤٢.



والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"(١).

وبين الشيخ محمد الطاهر بن عاشور سبب حرمة التولي يوم الزحف في قوله: (وإنما حرم الله الفرار في وقت مناجزة المشركين ومجالدتهم، وهو وقت اللقاء، لأن الفرار حينئذ يوقع في الهزيمة الشنيعة والتقتيل، وذلك أن الله أوجب على المسلمين قتال المشركين، فإذا أقدم المسلمون على القتال لم يكن نصرهم إلا بصبرهم و تأييد الله إياهم، فلو انكشفوا بالفرار لأعمل المشركون الرماح في ظهورهم فاستأصلوهم، فلذلك أمرهم الله ورسوله بالصبر والثبات، فيكون ما في هذه الآية هو حكم الصبر عند اللقاء، وبهذا يكون التقييد بحال الزحف للاحتراز عن اللقاء في غير تلك الحالة)(٢).

وقد كان النبي ﷺ الأسوة حسنة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب: ٢١] في الثبات عند الشدائد وفي مقدمتها عند لقاء العدو، فقد قاد المسلمين في أقل من عشرة أعوام في ثمان وعشرين معركة، برزت فيها شجاعته وثباته وصبره بشكل يجل عن الوصف، واقتدى به صحابته رضي الله عنهم من بعده وساروا على دربه، فصبروا وثبتوا وأحرزوا الانتصارات تلو الانتصارات، بما تجملوا به من مظاهر القوة المعنوية المجلبة لتأييد الله ونصره.

المطلب الثاني ـ ذكر الله تعالى:

فبعد أن أمر المولى عز وجل بالثبات في أرض المعركة، أمر بما يضمن و يحقق ذلك، إنها الأداة الفعالة، إنه ذكر الله تعالى.

فذكر الله تعالى يطمئن قلوب المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وذكر الله تعالى يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، ويهون الصعاب، فما ذكر عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا حفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، ولهذا جاء الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى في أضيق الأوقات وهو وقت التحام القتال، في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الأنفال: ٤٥].

قال القرطبي: (للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال: **الأول** ــ اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد. **الثاني** ــ اثبتوا بقلوبكم واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يسكن

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)"النساء:١٠" ، ١٠١٧/٣ ح٢٦١٥. ومسلم، في صحيحه، كتب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها،٩٢/١ ح٨٩.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٩٢/٩.



عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة وهي الشجاعة المحمودة في الناس. **الثالث** ــ اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في اتباعه أنفسكم ومثامنته لكم. قلت: والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان)(١).

قال محمد بن كعب القرظي: (لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا ﴾ [آل عمران: ٤١] ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥](٢).

وقال قتادة: (افترض الله عز وجل ذكره على عباده، أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف. وحكم هذا الذكر أن يكون خفيا، لأن رفع الصوت في مواطن القتال رديء مكروه إذا كان الذاكر واحدا فأما إذا كان من الجميع عند الحملة فحسن، لأنه يفت في أعضاء العدو)(٣).

وكان النبي ﷺ يدعو عند ملاقاة العدو، فيقول في الحديث الذي رواه عبد الله بن أبي أوفى: "**أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم منزل الكتاب ومجري الحساب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**"(٤).

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لآية التثبيت التي سبق ذكرها: (وينبغي أن يكون الذكر في هذه الحالة بما قاله أصحاب طالوت: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠])(٥).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن،١٩/٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن،١٩/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٨ ــ ٢٠.

(٤) سبق تخريجه في الصفحة، ص١٧

(٥) فتح القدير، ٣١٥/٢.



فالضراعة إلى الله عامل عظيم من عوامل نصر الله لدعوة الحق وتمكينها، وهاهي دعوات المرسلين وأتباعهم من المؤمنين لا يكاد يذكر الله نصره لها إلا ويذكر قبله ضراعتهم ودعاءهم إذ بـه يستنزل النصر، ويعلم سبحانه وتعالى من تلك الطائفة صدق توجهها إليه فيرضى عنهم ويحقق لهم النصر.

وباستقراء قصص الأنبياء في القرآن وقصص الهالكين من الأمم، لا نجد نصراً حصل لنبي أواتباع دعوة الحق إلا بعد رفع الضراعة ودوام الدعاء إلى الله، وكذلك نجد القرآن يقص لنا عن كثير من الأمم الهالكة، أن هلاكها سبقه ضراعة متضرع، أو جماعة مؤمنة التجأت إليه فألجأها وأنجاها، ثم أهلك من عاداها. إن الضراعة سنّة، لا تكاد تختلف في النصر والتمكين اللذين يصنعان على عين الله سبحانه وتعالى، ومتى قلت ضراعة الطائفة المؤمنة أو أصبح أفرادها وقادتها يتوارون أو يستحيون من أن يبدوا تمسكنهم وذلتهم وتذللهم وهم يدعون الله ويسألونه إنجاح أمورهم ونصرهم على عدوهم، وأصبحوا يعولون كل التعويل على حسن التخطيط والتدبير، وشدة التحري والتربص لمخططات أعدائهم وكيفية فضحها ودفعها، فإن تلك الطائفة جديرة أن تنحط عن رتبة النصر وجديرة كذلك بالخذلان من ربها، وأن يكلها إلى ما عولت عليه وركنت إليه (١).

ومن أحسن ما يبين هذا الأمر ويشهد له مثالان في كتاب الله؛ وهما حال طائفة الإيمان في بدر، وحالها في غزوة حنين.

ففي غزوة بدر نرى الضراعة والاستكانة أبين ما تكون، قال تعالى يصف دعاء المؤمنين ونبيهم ﷺ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩].

لقد كانت مشاعر المؤمنين قبل المعركة متوجهة إلى مالك النصر في لهفة واضطرار تطلب الغوث منه والنجدة، بنصر من عنده، فكان المدد بالملائكة والنصر من الله سبحانه، واستجابة الدعاء من الله، حتى لقد علم المؤمنون أنهم إنما نصروا بنصر الله، لا بعددهم ولا بسالتهم، ووصلوا إلى النصر بسهولة ودون عظيم خسارة هناك. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

أما الحال في حنين، فيصوره القرآن كذلك ويذكر حال الجماعة المؤمنة، فلا يذكر عنهم أنهم تضرعوا ولا دعوا، فقلت لديهم الضراعة، بل اضمحلت فيهم اضمحلالاً ظاهراً، بل بالعكس وقع في النفوس العجب بكثرة العدد والركون إليها والتعويل عليها، وهنا يأتي سياق القرآن بذكر ما استكن في قلوب المؤمنين وهم يسيرون إلى عدوهم فلا يذكر إقبالاً على دعاء الله منها، ولا طلب

---

(١) عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد بن حمدان بن محمد الشهري، ص١٢٥.



نصر منه، ولا استغاثة بربهم كما كان الحال في بدر، فكانت الهزيمة الفاضحة في أول الأمر حتى أثبتت للمؤمنين أن الاعتماد يجب أن لا ينصرف إلى كثرة عدد ولا قوة مدد، ولا وفرة العتاد والآلة؛ وإنما الاعتماد إلى واهب النصر وحده، الذي نصرهم وهم أذلة في بدر حين قصدوه، ووجهوا القلوب متضرعة إليه(١). يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

وبعد أن تلقى أهل الإيمان درساً فريداً، وعلموا أن الكثرة ما أغنت ولا أجدت؛ شاء الله سبحانه أن يكمل لهم بقية الدرس ويريهم كيف ينــزل النصر؟ وإذا أرادوه فمن أي باب يطرقونه؟ فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت في رجال معه، وينــزل عن بغلته، ويستنصر الله ويدعوه فينــزل الله سكينته عليه وعلى المؤمنين، وينــزل سبحانه جنوداً لم يروها، فيكون النصر المبين من الله(٢)، يقول تعالى في ذلك: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

أخرج الشيخان ــ واللفظ لمسلم ــ عن البراء بن عازب ﷺ، أن رجلاً قال له: أكنتم وليــتم يــوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: (أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى، ولكنه انطلق أخفاءٌ من الناس وحُــسَّر إلــى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رِجْل من جراد فانكــشفوا، فأقبــل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: "**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، اللهم نــزِّل نــصرك**". قال البراء ﷺ: كنا والله إذا احمر البأس نتقــي بــه، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ(٣).

إن الضراعة والابتهال إلى الله بإنزال النصر لم تكن شأن النبي صلى الله عليه وسلم في حنــين فقط، بل: كان ﷺ إذا لقي عدوه، وقف ودعا واستنصر الله، وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله(٤).

(١) عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد بن حمدان بن محمد الشهري، بتصرف، ص١٢٦.

(٢) عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد بن حمدان بن محمد الشهري، بتصرف، ص١٢٧.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الجهاد، باب من قاد دابة غيره، ٣/١٠٥١ ح٢٧٠٩. ومسلم، في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ٣/١٤٠١ ح١٧٧٦.

(٤) زاد المعاد، ٢/٩٧. وينظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد بن حمدان بن الشهري، ص١٢٨.

المطلب الثالث ـ طاعة الله ورسوله وأولي الأمر:

بعد أن أمر الله تعالى جنود الإيمان بالثبات والإكثار من ذكر الله تعالى، وبيّن أنها من أسباب الفلاح في الدارين، انتقل السياق القرآني إلى بيان العوامل الراجعة إلى انتظام جيشهم وجماعتهم، وهي علائق بعضهم مع بعض، وهي الطاعة، فقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فطاعة الله ورسوله تشمل اتباع سائر أحكام القتال المشروعة بالتعيين، مثل الغنائم. وكذلك ما يأمرهم به الرسول ﷺ من آراء الحرب، كقوله للرماة يوم أحد: "**فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم**"(١). وتشمل طاعة الرسول ﷺ طاعة أمرائه في حياته، وتشمل طاعة أمراء الجيوش بعد وفاة رسول الله ﷺ لمساواتهم لأمرائه الغائبين عنه في الغزوات و السرايا في حكم الغيبة عن شخصه.

فخلق الطاعة يعتبر أساسا هاما من أسس الروح العسكرية، وهو ما يطلق عليه في المصطلحات العسكرية مصطلح "الضبط"، وقرر العلماء العسكريون أن الفرق بين الجندي الجيد، والجندي الرديء أن الأول مطيع و الثاني غير مطيع، و يعرفونه بأنه طاعة الأوامر و تنفيذها نصا و روحا بدون تردد عن طيبة خاطر و بحرص و أمانة (٢).

وقد ورد الأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ وأولي الأمر في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]، وورد النهي عن التردد في طاعة أولي الأمر عند الأمر بالخروج للقتال في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١].

كما حث النبي ﷺ على هذه الطاعة في قوله: "**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني**"(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، الجهاد، باب ما يكره من التنازع، ١١٠٥/٣ ح٢٨٧٤.

(٢) الإسلام والنصر، محمود شيت خطاب، ص٣٣٩ ــ ٣٤٠. و ينظر: أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية، د. محمد نعيم ياسين، ص٦٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول الله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم)"النساء: ٥٩"، ٢٦١١/٦ ح٦٧١٨. ومسلم، كتاب الإمارة، وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ١٤٦٦/٣ ح١٨٣٥.



وطاعة الجندي لقائده ليست كطاعة غيره من أهل الملل الأخرى التي تتبني فيها الطاعة على الخوف على النفس والرزق وغير ذلك من الأسباب، بل طاعة الجندي المسلم لقائده، منبثقة من عقيدة صافية نقية راسخة مفعمة بها قلوبهم، وبالتالي تجدهم ينفذون أوامر القيادة بكل طمأنينة ورضا.

المطلب الرابع ــ النهي عن التنازع:

إن من مظاهر القوة المعنوية المعينة على تحقيق النصر عدم التنازع والتفرق، وقد جاء النهي عنه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

والنهي عن التنازع يقتضي الأمر بتحصيل أسباب ذلك: بالتفاهم، والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضا، حتى يصدروا عن رأي واحد، فإن تنازعوا رجعوا إلى أمرائهم.

ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة، بسط القرآن القول فيه ببيان آثاره السيئة، فجاء بالتفريع بالفاء في قوله: **(فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)** فحذرهم أمرين معلوما سوء مغبتهما: وهما الفشل وذهاب الريح.

فالفشل: انحطاط القوة في القتال ومدافعة العدو، وإنما كان التنازع مفضيا إلى الفشل، لأنه يثير التغاضب، ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضا، وتوقع عدم إلقاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو(١)، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وذهاب الريح: حقيقتها تحرك الهواء وتموجه، واستعيرت هنا للغلبة والقوة، إذ لا يوجد في الأجسام أقوى منها، فإنها تهيج البحار وتقتلع أكبر الأشجار وتهدم الدور و القلاع، ومعناها في الآية تذهب قوتكم و يزول أمركم وترتخي أعصاب شدتكم فيظهر عدوكم عليكم (٢).

وقد حرص النبي ﷺ على نبذ الخلاف في قوله: **"لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا"**(٣)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، بتصرف، ٥/٣٠ ــ ٣١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥/٣١. وتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٠/٢٢.

(٣) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول الله تعالى: **(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)**"النساء: من الآية٥٩"، ٦/٢٦١١ ح٦٧١٨. ومسلم، في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ٣/١٤٦٦ ح١٨٣٥.



أي لا تكونوا فرقا باتباع أهوائكم، فإن من سبقكم اختلفوا فحارب بعضهم بعضا وانتهز عـدوهم فرصة ضعفهم فقضى عليهم. بل إن الإسلام يعتبر الفرقة بين الصفوف من أكبر المعاصي، وأبشع الجرائم(١)، يقول تعالى: ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾ [البقرة: ١٩١].

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تستأصل من قلوب المسلمين الفرقة والاختلاف، وتذكرهم بما يجمعهم وتوحد صفهم، منها:

ـ ذكّرهم القرآن الكريم بوحدة أصلهم، الذي يلتقي فيه الناس جميعا، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ـ وذكّرهم بوحدة عقيدتهم، فربهم الذي يجتمعون على عبادته و يتوجهون إليه واحد، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ـ وذكرهم بالقيم والأخلاق الواحدة التي تجمعهم، فلا فرق بينهم إلا بالتقوى، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ـ وذكرهم بالقيادة الواحدة التي تجمعهم، تبت في جميع ما اختلفوا فيه، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ ﴾ [النساء: ٦٥].

وإذا كان من أبرز أسباب اختلاف الناس هو التكالب على أعراض الدنيا وزينتهـا، فينبغـي أن يسمو جنود الحق من الوقوع في مثل هذا، وخاصة في ساعات الحسم، ولحظات ظفر الجيش المـسلم بعدوه، فكل لون من ألون الخلاف ينبغي أن يرجع فيه للقائد للبت فيه. وهذا معنى ما قاله قتـادة فـي تفسير آية صدر هذا المطلب: (لا تختلفوا فتجبنوا ويذهب نصركم)(٢).

(١) ينظر: وسائل النصر من القرآن و السنة، د. محمد جمعة عبد الله، ٩٩.

(٢) الدر المنثور، ٤/ ٧٦.



المطلب الخامس ـ خلق الصبر:

يعد الصبر من أبرز عوامل الظفر بالنصر بعد صدق الإيمان وتقوى الله تعالى، وهو من الأخلاق التي عني القرآن الكريم بإبرازها واعتبرها أساسا لكل فوز ونجاح في الدارين، حتى لقد وردت مادة "صبر ومشتقاتها" فيه نحو ثلاثمائة آية، وما ذلك إلا لدوران كل الأخلاق عليه، وصدورها منه، فكلما قلبت خلقاً أو فضيلة وجدت أساسها وركيزتها الصبر، فالعفة: صبر عن شهوة الفرج والعين المحرمة، وشرف النفس: صبر عن شهوة البطن، وكتمان السر: صبر عن إظهار مالا يحسن إظهاره من الكلام، والزهد: صبر عن فضول العيش، والقناعة: صبر على القدر الكافي من الدنيا، والحلم: صبر عن إجابة داعي الغضب، والوقار: صبر عن إجابة داعي العجلة والطيش، والشجاعة: صبر عن داعي الفرار والهرب، والعفو: صبر عن إجابة داعي الانتقام. ومن هنا ندرك كيف علق القرآن الكريم الفلاح على الصبر وحده، في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

فالصبر ليس من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة ولا فوز ولا نجاة إلا بالصبر(١).

ولهذه القيمة تكرر الصبر في القرآن بصيغة الأمر ثماني عشرة مرة، كل أمر منها جاء في سياق ذكر كيد الكافرين، والصبر على أقوالهم وأذاهم والصبر لحكم الله.

وفيما يلي نفصل في الآيات التي تبرز ضرورة الصبر، وأنه من أبرز العوامل التي يترتب عليها النصر على الأعداء:

أولا ــ معية الله تعالى للصابرين: وردت معية الله تعالى للصابرين في أربع آيات من القرآن، وغالبها في سياق البأس وملاقاة العدو، ومعيته تعالى للمؤمنين تستلزم تأييدهم بالأمن وعدم الخوف، والنصر، آيتان منها ختمها المولى عز وجل بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقر: ١٥٣، الأنفال: ٤٦] ، وآيتان ختمهما بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٤٩، الأنفال: ٦٦].

ولما وقع في قلب موسى وهارون عليهما السلام الخوف من كيد فرعون وبطشه، ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ [طه: ٤٥]، فكان جواب رب العزة: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، فدفع عنهما الخوف بمعيته ورعايته من مكر فرعون ووعيده.

(١) ينظر: الصبر في القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضيري، مقال: موقع: www.saaid.net



ففي الآيات السابقة دعوة لكل جندي مسلم يحرس وطنه ويؤمن بلده ويدافع عن حياظه بالصبر عند أداء مهامه، ولقاء عدوه، فإن الصبر وتحمل شدة المواقف يترتب عليه معية الله تعالى برباطة الجأش والتأييد والنصر (١).

وقد كان النبي ﷺ يأمر المسلمين بالصبر عند ملاقاة العدو، فيقول: "**أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**"(٢)، فالصبر عامل مهم، ومن أشرف الأخلاق التي يتوقف عليها الظفر بالنصر.

ولم يكتف القرآن الكريم بترتيب غلبة المؤمنين على الصبر فحسب، بل ضمن لهم ضماناً أكيداً أنهم مع الصبر يغلبون ضعف عددهم، وأن لا مندوحة لهم من الانحياز عن عدوهم أو عدم لقائه إذا كان على الضعف منهم فإنهم بمجرد توافر الصبر لديهم مع الإيمان يغلبون ضعفهم بإذن الله.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦]، قاعدة ثابتة ممن خلق الخلق وهو أعلم بهم، بأن طائفة المؤمنين تغلب ضعفها إذا كانت صابرة، وأن لا عذر لهم في الانحياز عنهم إذا كان الأعداء ضعف عددهم، بل عليهم لقاءهم والصبر على جلادهم، والغلبة مضمونة لهم(٣).

ثانيا ــ قوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال قتادة: (الحسنة هي الألفة والجماعة، والسيئة الفرقة والاختلاف وإصابة طرف من المسلمين)(٤).

ومعنى الآية: إذا صبرتم على طاعة الله واتبعتم أمره فيما أمركم به، واجتنبتم ما نهاكم عنه من اتخاذ بطانة لأنفسكم من أعدائكم وغير ذلك من سائر ما نهاكم، واتقيتم ربكم، وتوكلتم عليه فهو المحيط بأعدائكم، فلا حول و لا قوة إلا به، فلا يضركم كيد الكائدين شيئا بعد وفائكم لله بعهد العبودية، فهو يفي لكم بحق الربوبية فيحفظكم من كيد أعدائكم (٥).

---

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٥/١٠.

(٢) سبق تخريجه، ص١٧

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٣٨/١٠ ــ ٤١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٤٤/٣ ــ ٣٤٥.

(٤) زاد المسير، ٤٤٨/١.

(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٥/٤. وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير،١٠٣/٢.



ثالثا ــ قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والبأساء في الأموال كالفقر والشدة، والضراء في الأنفس كالمرض وفقدان بعض الأهل، وحين البأس وقت المجاهدة ولقاء العدو ومنازلته (١).

وخص الله جل ذكره هذه المواطن الثلاثة، لأن من صبر فيها كان في غيرها أكثر صبرا(٢)، ومن حقق الصبر في هذه المواضع كان جديرا بأن يوصف بالصدق في إيمانه وتقواه، ولذلك ختم المولى عز وجل بقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)، فصدقوا في دعواهم الإيمان، وصدقوا في تقواهم بأن جعلوا بينهم وبين خذلان الله وسخطه وقاية بالبعد عن المعاصي التي توجب غضب الله في الدنيا و الآخرة.

رابعا ــ قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

وفي هذه الآية إرشاد للنبي ﷺ وصحابته، إلى أنه ما كان أحد يعلم قصة نوح مع قومه قبل نزول القرآن، وكيف أنه صبر في سبيل تبليغ دعوة الله تعالى وتحمل صنوفا من المشقة والإيذاء من قومه، فذكر أصحابك بالصبر على ما يلاقونه من المشركين من إيذاء و تعذيب، وهذه هي سنة الدعوات وهو مسلك الأنبياء والمرسلين من قبلك، وأن العاقبة للظفر وللنصر في الدنيا بإظهاركم على عدوكم، وفي الآخرة بالفوز بجنات النعيم.

وقص علينا القرآن الكريم وصية موسى عليه السلام لبني إسرائيل بالصبر من إيذاء الفراعنة وتعذيبهم، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ١٢٨]، وجاء الأمر من الله سبحانه وتعالى لهم بإقامة الشعائر والصلوات، ومواصلة الصبر وانتظار الفرج، وهم على ذلك الحال الشديد من التعذيب والاضطهاد، وما ذلك من الله سبحانه وتعالى إلا ليبلو صبرهم ومحافظتهم على دينهم؛ وهم يفتنون عنه بكل أنواع العذاب. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ

(١) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم المصري، ١/١١٩.

(٢) وسائل النصر من القرآن و السنة، د. محمد جمعة عبد الله، ١٠٥.



ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ٨٤، ٨٧].

والشاهد هنا أن بني إسرائيل بقوا سنوات متتابعة وهم على هذا الحال من البلاء، وتخطوا تلك العقبات والمراحل بالصبر على فتنة فرعون وتعذيبه وأذيته والصبر على مزاولة شعائر الدين في آن واحد، حتى خصصوا لعبادتهم بيوتاً غير بيوتهم وبنوها يختفون بها ويصلون في البيوت حتى كانت مساجد لهم، فقطعوا كل هذا البلاء والعناء بالصبر فقط دون غيره إذ لم يكلفوا بجهاد، فأثابهم الله على حسن بلائهم في الصبر بالتمكين في الأرض، وبين أن ذلك إنما هو جزاءً لصبرهم(١)، قال تعالى:﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

خامسا ــ حث المولى عز وجل في عدد من الآيات على الاستعانة بالصبر والصلاة لاستقبال البلوى، منها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٣-١٥٥].

وقال في آية أخرى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[البقرة: ٤٥]. وكان المؤمنون في الأمم السابقة يدعون ربهم أن يفرغ عليهم صبرا إفراغا ليستعينوا به على ملاقاة الشدائد، ومواجهة عدوهم، كما صنع ذلك الملأ من بني إسرائيل مع قائدهم طالوت قبيل مواجه جالوت وجنوده، وقد قص علينا ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٠].

قال البيضاوي: (وفيه ترتيب بليغ إذ سألوا أولا إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر، ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه، ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا)(٢).

(١) عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد بن حمدان بن محمد الشهري، ص٦٤.

(٢) تفسير البيضاوي، ١/١٣٥.



وكان طلب سحرة فرعون في دعائهم لما آمنوا وتوعدهم فرعون، بإفراغ الصبر، فقالوا: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

المطلب السادس ـ التوكل على الله تعالى:

التوكل على الله هو أحد مكونات العقيدة الإسلامية الصحيحة، فالإيمان لا يتم إلا بالتوكل على الله، ومعرفة أن من صفات الله تعالى أنه الوكيل على كل شيء، وهو وكيل المؤمنين بصفة خاصة، وكونه سبحانه وتعالى وكيلا على كل شيء أنه كفيل به، مدبر شأنه، قائم عليه، إليه الملجأ، وإليه المرجع، فهذا جزء من عقيدة الإسلام وجزء من إيماننا، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

ولهذا أمرنا أن نتخذه وكيلا دون غيره، فقال: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾[النساء: ٨١].

والتوكل على الله من صفات المؤمنين الصادقين وخصائصهم التي مدحهم الله بها في أربعة عشر آية من كتابه الكريم، خمس منها بقوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: ٣٦]، وتسع بقوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[التغابن: ١٣].

والتوكل على الله من عوامل النصر المعنوية المتممة للصبر، فالصبر ينفد ولا يصمد إلا إذا تدعم بالتوكل على الله، ولذلك أعقب المولى عز وجل الصبر بالتوكل عليه في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[النحل: ٤٢].

وإذا كان الأمر بالتوكل على الله تعالى يعم جميع المؤمنين في مناحي حياتهم، فمن باب أولى أن يكون هذا الأمر في وقت الشدة و البأس و مواجهة العدو في ميدان المعركة، ولهذا أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتوكل عليه بعد العزم على القتال، فقال: ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يعني فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها، وتوكل فيما تأتي من أمورك على ربك، فثق به في كل ذلك وارض



بقضائه في جميعه، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم، فإن الله يحب المتوكلين، وهم الراضون بقضائه والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه [١].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩]، مسوق لبيان عنايته تعالى بالمسلمين، والامتنان عليهم، ولخيبة ظنون المنافقين، لأن المسلمين توكلوا عليه، وهو عزيز لا يغلب، فمن تمسك بالاعتماد عليه نصره على أعدائه وإن كثر عددهم وعظم استعدادهم. وهو حكيم يكوّن أسباب النصر من حيث يجهلها البشر، ويضع كل أمر في موضعه على ما جرى عليه النظام والتقدير في سننه [٢].

---

(١) جامع البيان، الطبري، بتصرف، ١٥٣/٤.

(٢) ينظر: التحرير والنوير، محمد الطاهر بن عاشور، بتصرف،٣٨/٥. وتفسير المنار، محمد رشيد رضا،٢٧/١٠.



الخـــــاتمة

في نهاية هذا البحث نخلص إلى جملة من النتائج نذكرها فيما يلي:

١ ــ إنّ القرآن الكريم حافل بالآيات المرشدة إلى كافة العوامل الماديـــة والمعنويـــة الموجبـــة للنصر والظفر، والتي لو أخذ بها المسلمون لأيّدهم المولى عز وجل بالنصر والتمكين.

٢ ــ إنّ وعد الله عز وجل لرسله عليهم الصلاة و السلام ومن تبعهم بالنـــصر والتمكـــين، لا يغني عن الأخذ بأسباب النصر، فسلامة المعتقد وصدق الإيمان يوجبان على كل جندي مسلم الأخذ بالعدة الكاملة وإحسان التوكل على الله قبل مواجهة عدوه.

٣ ــ إنّ في قصص الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، وقصص النبـــي صلى الله عليه وسلم في غزواته التي فصلتها آيات القرآن الكريم، تعتبر مادة رئيـــسة للاســـتهداء، نستخلص منها جميع عناصر القوة المعنوية والمادية التي يجب أن يأخذ بهـــا كـــل مـــؤمن، وكـــذا عناصر الهزيمة التي ينبغي أن يتفاداها.

٤ ــ إن صدق الإيمان، وصفاء العقيدة، والتربية الروحية والأخلاقية المتينـــة، هـــي العامـــل الرئيس الذي حقق به سلفنا انتصاراتهم، ففتحوا البلاد وعمروها سلاما ورحمة، وألحقوا الهزائم بكل من يقف في وجه الحق والاعتداء عليه.

٥ ــ لقد علّمنا القرآن الكريم ما للطاعة من أثر بالغ في توفيق الله تعالى لكـــل مـــن يتـــصدى للدفاع عن أمته و شعبه، وأرضه في سبيل الله تعالى، ولما له من الأثر البالغ أيـــضا علـــى وحـــدة صف الأمة، وتآلفها.

٦ ــ إن ثبات الجنود في مواجهة عدوهم ليس أمرا هينا يستطيعه كل أحد، بل صعب يحتـــاج إلى قوة صبر، وإكثار من ذكر الله تعالى، وديمومة ضراعة، حتى يُطَمْئِنَ الله تعالى قلوبهم لما هـــم عليه، ويمنّ عليهم بنصره.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



قائمة المصادر و المراجع

- **المصحف الشريف:** برواية حفص عن نافع.
- **أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية:** د. محمد نعيم ياسين، دار النفائس، الكويت، ط٢، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:** أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- **الإسلام والنصر:** محمود شيت خطاب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
- **أضواء البيان في إيضاح القرن بالقرآن:** الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبد العزيز آل سعود.
- **الإيمان:** ابن تيمية، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
- **التبيان في تفسير غريب القرآن:** شهاب الدين أحمد بن الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة، طنطا، مصر، ط١، ١٩٩٢م.
- **التحرير و التنوير:** ابن عاشور، محمد الطاهر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- **تفسير البيضاوي:** البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- **تفسير القرآن العظيم:** ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء الدمشقي، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- **تفسير المنار:** محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- **الجامع لأحكام القرآن:** القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- **خلق المسلم:** محمد الغزالي، مكتبة الرحاب، ط١٥، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
- **زاد المسير في علم التفسير:** ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- **زاد المعاد:** ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **سنن الترمذي:** محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، السنن، تحقيق: عبد الرحمن يحيى عثمان، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.



- **الصبر في القرآن:** محمد بن عبد العزيز الخضيري، مقال، موقع الإلكتروني: www.saaid.net
- **صحيح البخاري:** البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وعناية:محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني.
- **عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين:** أحمد بن حمدان بن محمد الشهري، كتاب إلكتروني، موقع: www.almoslim.net
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، دار الفكر، بيروت.
- **الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل ووجوه التأويل:** الزمخشري، أبو القاسم جار الله. شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢.
- **لسان العرب المحيط:** ابن منظور، أعاد بناءه على الحرف الأول للكلمة، يوسف خياط، دار الجيل، ودار لسان العرب، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- **المستصفى في علم الأصول:** الغزالي، أبو حامد ،محمد بن محمد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ.
- **مسند أحمد:** أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مؤسسة قرطبة، مصر.
- **معجم مقاييس اللغة:** ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر:** ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
- **نزهة النظر بشرح نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر:** ابن حجر،أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، تعليق أبو عبد الرحيم محمد كمال الدين الأدهى، شركة الشهاب، الجزائر.
- **الوجوه و النظائر:** الدمغاني، أبو عبد الله الحسين بن محمد، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- **وسائل النصر من القرآن والسنة:** محمد جمعة عبد الله، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

